

**"الحلقة الدراسية لبرنامج التكامل المعرفي:
نحو نسق فكري إسلامي"
(الخرطوم - السودان)
7-9 أكتوبر 2009م**

ضرار عبيد الماحي*

مقدمة

يهدف برنامج التكامل المعرفي إلى بث ثقافة التكامل المعرفي وإصلاح مناهج الفكر، وتعزيز قدرات أعضاء هيئة التدريس واللجان العلمية ولجان تطوير المناهج، وتوجيه الجامعات وتفعيلها في مجالات الإسهام العلمي الحضاري، وتطوير منهجية فاعلة تسهم في معالجة المعرفة المعاصرة على ضوء مفاهيم الحق والعدل والكرامة الإنسانية. وفي الجانب الإجرائي يهدف البرنامج إلى تنظيم حلقات دراسية، وورش عمل، ودورات تدريبية، ومؤتمرات، وتأليف بحوث، وكتب منهجية، وتطوير برامج دراسية بالجامعات.

المفهوم والتصور

يشير مفهوم التكامل المعرفي إلى عملية تفعيل الرؤية الإسلامية في كل مجالات العلوم؛ سواء كانت علوماً طبيعية أو اجتماعية وإنسانية أو شرعية، فالمعرفة التي تجمع بين هداية الوحي والخبرة البشرية في عملية تفهم الحقائق التي تبحث فيها يمكن وصفها

* دكتوراه في الفكر الاقتصادي من المعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية، عميد معهد إسلام المعرفة بجامعة

بالمعرفة المتكاملة. كما تقتضي رؤية منهجية تكيف في إطارها إجراءات التعرف على الحقائق العلمية المرتبطة بالظواهر التي يسعى الإنسان لدراستها وتفسيرها، وترتبط الرؤية المنهجية تلك بعدد من المسلمات القبلية التي ترسخ عند العالم بفضل الثقافة الدينية (أياً كانت طبيعتها ونقائها) والثقافة العلمية التي يُنشأ عليها، ولذلك فإن تفسير الظواهر يكون أكثر صدقاً كلما كانت تلك الثقافة (بشعبتيها) نقية صافية، ومستمدة من أصول يقينية صادقة.

مبررات الدعوة للتكامل المعرفي

تعود أسباب الدعوة إلى التكامل المعرفي في جملة من الأسباب التي يمكن إرجاعها بعد التدقيق إلى إشكال التعليم وما أفرزه من أزمة معرفية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالفصل الحاد والمصطنع بين المعرفة والدين، فقد كانت نتيجة الالتزام بهذا المبدأ محاصرة العلم في المحسوس فقط، وإفراغه من المضامين والقيم الدينية والرؤية الفلسفية الكلية المعبرة عنها؛ (وأصل هذا المبدأ دعوة أوجست كونت الشهيرة: الإنسان يجب أن يطبق العلم وليس الدين لتنظيم حياته).

مطلوبات التكامل المعرفي

يعبر مفهوم التكامل المعرفي عن اتجاه فكري معاصر يسعى لتفهم حقائق العلم وقضاياها تأسيساً على المرجعية الإسلامية العليا (متمثلة في الوحي القرآني والسنة النبوية)، وهو اتجاه لا يأبه بالمسلمات التقليدية التي كرسها دعاوى الفصل بين الحقائق العلمية والحقيقة الدينية.

والتكامل بهذا المعنى لا يهدر تاريخ العلم ولا يلغي التخصص في مجال من مجالاته أو في مبحث من مباحثه الدقيقة، بل إن معرفة تاريخ العلم وقضاياها ومباحثه تعد في رأس مطلوبات عملية التكامل المعرفي، تماماً مثلما أن تدبر القرآن الكريم والإطلاع المعمق على معارف الوحي والوعي بالرؤية الإسلامية ومقاصد الإسلام الكلية تُعد مطلباً أساسياً يلزم من أراد أن يسهم في مشروع التكامل المعرفي أن يلم بها.

محاور الندوة

المحور الأول: الرؤية الإسلامية للعالم بوصفها أساساً للتكامل المعرفي

- التعريف العام بموضوعاتها الرؤية الإسلامية للعالم ومفاهيمها وعلومها.
- قراءة نقدية في أدبيات علم العقيدة الإسلامية، ووصل أطروحات بتحديد "مبحث التوحيد" بمشاريع التقدم والبعث الإسلامي، مع تحليل وتقويم خاص لأطروحات المجددين والمصلحين المعاصرين ذات الصلة.
- قراءة تحليلية ناقدة في الأعمال المنجزة في إطار مشروع إسلامية المعرفة ذات الصلة بالأبعاد المعرفية والاجتماعية للتوحيد والرؤية الإسلامية للعالم.
- استخلاص معالم الرؤية القرآنية للعالم ودلالاتها المعرفية على التخصصات العلمية المختلفة.

المحور الثاني: التكامل المعرفي في العلوم الاجتماعية والإنسانية

- التعريف بنشأة تلك العلوم في إطار الفكر الغربي الحديث.
- التعريف بموضوعاتها ومفاهيمها ومناهجها وأزمتها من منظور ثقافي تاريخي نقدي.
- تحليل الإشكاليات المرتبطة باستحداثها في جامعات العالم الإسلامي، مع التركيز على التحليل الناقد لمناهج محاولات توطين العلوم الاجتماعية والإنسانية بتلك الجامعات.
- تقويم دورها في توجيه الحياة العامة وتنظيمها.
- مناقشة دورها في تعميق الازدواجية الثقافية وانفصام الفكر الإسلامي عن العمل العام والحياة المدنية.
- وضعية العلوم الاجتماعية والإنسانية في العالم الإسلامي.
- اتجاهات التكامل المعرفي المنتظرة في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية.

المحور الثالث: التكامل المعرفي في العلوم الشرعية والدراسات الإسلامية

- التعريف بنشأتها وموضوعاتها ومفاهيمها ومناهجها وأزمته من منظور اجتماعي تاريخي نقدي.
- تقويم أثر الواقع السياسي، والاجتماع الإسلامي التاريخي، على المسار التاريخي للعلم الشرعي ونشأة المذاهب الفقهية والكلامية، وانعكاسات كل ذلك على تصور الأصول الإسلامية وكليات الشريعة.
- وضعية العلوم الشرعية والدراسات الإسلامية في العالم الإسلامي.
- اتجاهات مبادرات التجديد والتكامل المعرفي المنتظرة في مجال العلوم الشرعية والدراسات الإسلامية.
- تقويم استجابة العلوم الشرعية للتحديات المعاصرة ؛ (على سبيل المثال في مجالات إسلامية المعاملات المالية، والقوانين، وتوجيه الحياة العامة، مع التركيز على تحليل وتقويم العلم الشرعي الذي تولد استجابة لتلك التحديات من خلال جهود هيئات الرقابة الشرعية والجامع الفقهية، وجهود الأوقاف والمؤسسات الإسلامية الخدمية... وهكذا).

المحور الرابع: فلسفة العلم الطبيعي

- التعريف بمباحث فلسفة العلوم وقضاياها ومناهجها.
- مناقشة قضية تفسير الحقائق العلمية، وتقويم أثر المسلمات القبلية في عملية تفسير تلك الحقائق.
- انتقاء عدد من النظريات العلمية (التي تم اكتشافها حديثاً أو في العقود الثلاثة الأخيرة) في مجالات مختلفة (الفيزياء والهندسة الوراثية وغيرها) واستثمارها كنماذج للاستدلال على علاقة تلك النظريات بالمسلمات الفلسفية القبلية للجماعة العلمية المعينة.

المحور الخامس: الواقع الإسلامي ودوره في التنظير المعرفي المعاصر

- التعريف بالتحديات الحضارية والعملية التي تواجه الأمة الإسلامية في هذا العصر، ومقاربة المناهج لمتة المستخدمة في مواجهتها من قبل المصلحين والمفكرين من منظور معرفي.
- مناقشة أثر الواقع المعاصر على التنظير المعرفي الإسلامي في مختلف المجالات.

فعاليات الندوة

انعقدت هذه الندوة بقاعة الشارقة بجامعة الخرطوم تحت رعاية الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد عمر وزير العلوم والتقانة وبمشاركة فعالة من اتحاد جامعات العالم الإسلامي والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (أيسسكو) التي مثلها. وقد بدأت فعاليات ندوة "نحو نسق فكري إسلامي" بتاريخ الأربعاء 7 أكتوبر 2009، حيث ألقى معالي الوزير الجلسة الافتتاحية وألقى كلمة رحب فيها بالخبراء المشاركين من داخل السودان وخارجه، وأكد أهمية تنظيم هذه الندوة الخاصة بمفهوم التكامل المعرفي. كما شكر في كلمته الأمانة العامة لاتحاد جامعات العالم الإسلامي ممثلةً في أمينها العام الدكتور مصطفى أحمد علي لتشريفه بحضور فعاليات هذه الندوة ومساهمة الأمانة العامة في إنجاح الندوة ودعمها المعنوي المادي. كما أكد السيد الوزير ضرورة تضافر الجهود المشتركة بين المؤسسات التعليمية والمعاهد والمراكز البحثية المهمة بقضايا التأصيل والأسلمة في الداخل والخارج، متمنياً بأن تثمر جلسات الندوة بتوصيات فاعلة وهامة تساعد في تحقيق الأهداف العامة والخاصة التي وضعتها الندوة.

كما تحدث البروفسيور فتحي أحمد خليفة وزير الدولة بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي مثنياً للجهود المشتركة التي تقوم بها الأمانة العامة لاتحاد جامعات

العالم الإسلامي ودورها الفاعل في تنظيم مثل هذه الندوات العلمية التي تعزز الجهود الرامية في مجالات تأصيل وأسلمة العلوم والمعرفة. وأعرب عن سعاداته بنوعية المشاركة العلمية من داخل وخارج السودان والمخاور التي تتضمنها جلسات الندوة متمنياً كل النجاح لجلسات الندوة.

وكذلك خاطب الجلسة الافتتاحية السيد نائب مدير جامعة الجزيرة البروفيسور النور كمال الدين أبوصباح ممثلاً لمدير الجامعة فأعرب عن تقدير إدارة جامعة الجزيرة لعقد مثل هذه الندوات التي تعكس الفلسفة الأساسية التي قامت عليها الجامعة منذ إنشائها والتي تتمثل في تكامل العلوم والمعارف بين كافة قطاعات الجامعة وكلياتها المختلفة، فضلاً عن مجهودات التأصيل وأسلمة المعرفة التي تقوم بها الجامعة بواسطة معهد متخصص لخدمة هذه الأهداف، حيث تم إنشاء معهد إسلام المعرفة (إمام) في بداية التسعينيات من القرن العشرين، وذلك للتركيز على تطبيق متطلبات التأصيل والمتمثلة بصورة خاصة في تدريس مقررات "مصادر المعرفة" و"مقاصد الشريعة الإسلامية" لجميع طلاب الجامعة على مستوى البكالوريوس.

وخاطب الجلسة الافتتاحية كذلك الدكتور ضرار الماحي العبيد، عميد معهد إسلام المعرفة بجامعة الجزيرة، مرحباً بالمشاركين في الندوة، ومعرباً عن شكره لكل من أسهم في إنجاح هذه الندوة العلمية، وخاصةً الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد عمر وزير العلوم والتقانة لرعايته هذه الندوة ومتابعته لفكرة الندوة منذ البداية مع الدكتور أبو بكر محمد أحمد العميد السابق لمعهد إسلام المعرفة. كما أعرب عن شكره للدكتور مصطفى أحمد علي، الأمين العام لاتحاد جامعات العالم الإسلامي ومشيراً بالدعم الذي قدمته الأمانة العامة والذي كان له أثر واضح في تيسير عقد الندوة. وأكد عميد الندوة باعتباره أحد الموضوعات الأساسية في الإطار العلمي والجامعي التي تحتاج إلى مزيد من الجهود عمقاً وشمولاً من أجل بلوغ الأهداف

الكبرى للتكامل المعرفي.

وقد حضر الجلسة الافتتاحية الدكتور عمر عثمان أحمد المقلي الأمين العام لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي وعدد من مدراء الجامعات السودانية وعمداء الكليات والمعاهد والمراكز العلمية المتخصصة في مجالات التأصيل والعلوم الإسلامية.

هذا وقد تمثلت فعاليات الندوة في خمسة جلسات رئيسة على النحو الآتي:
ناقشت الجلسة الأولى محور مفهوم التكامل المعرفي، وتضمنت على ثلاثة أوراق علمية قدمها كل من الدكتور زكي الميلاد من المملكة العربية السعودية، والدكتور عبد المجيد النجار من المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية بفرنسا والدكتور أبو بكر محمد أحمد من السودان.

أما الجلسة الثانية فقد احتوت على محور مقاصد الشريعة الإسلامية وتداعياتها على العلوم الإنسانية. وقدم أوراق هذه الجلسة كل من الأستاذ الدكتور محمد الحسن بريمة من السودان، والدكتور محمد الطاهر الميساوي من الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا والدكتور محمود الرشدان من الأردن والدكتور محمد مجذوب محمد صالح من السودان.

أما الجلسة الثالثة التي ركزت على أثر الأخلاق وعلاقتها وأهميتها بالتكامل المعرفي مع طرح كتابات بعض المفكرين في هذا المجال. حيث قدم أوراق هذه الجلسة كل من الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد زين من ماليزيا، والدكتور إدريس مقبول من المغرب والدكتور ضرار الماحي العبيد من السودان.

وتناولت الجلسة الرابعة مفهوم التكامل المعرفي بين العلوم الإنسانية والشرعية، حيث قدم أوراق هذه الجلسة كل من البروفسيور مالك بابكر بدري من الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا والدكتور محمد بن نصر من المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية بفرنسا والدكتورة وجدان التيجاني من السودان.

أما الجلسة العلمية الخامسة من اليوم الثاني فقد اهتمت بموضوع المفاهيم الفلسفية والقرآنية وكذلك علاقة علم الاتصال الدعوي وعلاقتها بمفهوم التكامل المعرفي.

أما الجلسة الختامية التي أدارها الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد عمر وزير العلوم والتقانة وراعي الندوة فقد كانت عبارة عن مائدة مستديرة، حضرها - فضلاً عن المشاركين في الندوة - عدد من المختصين والمهتمين بقضايا التأصيل في وزارة التعليم العالي وبعض الكليات والمعاهد والجامعات السودانية. وقد كان الغرض من هذه الجلسة مناقشة الأبعاد المختلفة لعملية التكامل المعرفي والتفكير في الخطط والسبل الكفيلة بضمان رفع مسارها واستقرار مسيرتها، وصياغة ذلك في صورة توصيات محددة ومشروعات عمل مستقبلية.

وبعد مداوات ومناقشات مستفيضة انتهى المشاركون في هذه "المائدة المستديرة" إلى التوصيات الآتية:

1. يكلف معهد إسلام المعرفة بجامعة الجزيرة بمتابعة مخرجات هذه الندوة وتعزيز روح التواصل مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (أيسسكو) واتحاد الجامعات الإسلامية لمواصلة تنفيذ برنامج التكامل المعرفي. كما يكلف معهد "إمام" بمهمة التنسيق مع المراكز العلمية المهمة بقضايا التأصيل في السودان وذلك بغرض إيجاد مجموعة علمية مختصة من داخل وخارج السودان.
2. تقديم رسالة شكر للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (أيسسكو) لاهتمامها الفاعل بموضوع التكامل المعرفي ومساهمتها في إنجاح فعاليات هذه الندوة.
3. تطوير بحوث الحلقة الدراسية واستثمارها في عقد دورات تكوينية لتدريب

- أساتذة الجامعات المعنية في العالم الإسلامي على مفاهيم النسق الفكري الإسلامي ومنهجية تحقيق التكامل المعرفي في مضامين الكتب المنهجية الجامعية، والبرامج الدراسية المختلفة بالجامعات.
4. تأليف كتاب مرجعي معمق يتناول موضوع "نسق الفكري الإسلامي"، يكون الغرض منه تحرير موضوعات النسق الفكري الإسلامي بشكل منهجي وتقريبها لهيئات التدريس بالجامعات.
5. تنظيم ورش عمل معمقة لدراسة وتقييم وضعية التكامل المعرفي في مجالات المعارف والعلوم المتخصصة بالجامعات في مجالات العلوم الإسلامية والشرعية ومجالات العلوم الاجتماعية ومجالات العلوم الطبيعية.
6. دعوة الجامعات والمؤسسات التربوية المعنية في العالم الإسلامي إلى حصر الكفاءات العلمية الإسلامية القادرة على الإفادة في مجال التكامل المعرفي وتشجيعها على التأليف، وتيسير التواصل معها لتطوير تفكير معرفي إسلامي، وبناء نظام معرفي إسلامي موجه لحياتنا الحاضرة وتطوير مكتبة إلكترونية متخصصة في دراسة الأنساق المعرفية وإتاحتها للأفراد والمؤسسات العاملة في مجال التأصيل والتكامل المعرفي.
7. الدعوة إلى عقد اجتماع تنسيقي تشارك فيه جامعات العالم الإسلامي المعنية بموضوع التكامل المعرفي لدراسة أوراق عمل أولية تكون أساساً لخطة عمل متفق عليها حول قضايا البحث العلمي وتطوير المناهج والمقررات على أساس مفهوم التكامل المعرفي. وتوجيه الشكر للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ممثلة في المعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية (ISTAC) على استعداده لاستضافة هذا الاجتماع خلال السنة القادمة 2010.
8. دعوة الجامعات المعنية في العالم الإسلامي إلى إنشاء الوحدات الدراسية

والكراسي العلمية المعنية بالنسق المعرفي الإسلامي. ودعوة المؤسسات والمنظمات التربوية إلى تبني هذه الكراسي المعرفية ودعمها. هذا وقد قامت وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية بتغطية فعاليات الندوة، ومنها "أخبار اليوم" و"التيار" و"آخر لحظة" و"السوداني". كما أجرى تلفزيون السودان القومي لقاءات وحوارات مع بعض الخبراء المشاركين في الندوة في إطار برنامج "الأصل والعصر" وكذلك قناة النيل الأزرق، كما ألقى بعض المشاركين محاضرات وأجروا لقاءات علمية مع بعض المؤسسات الثقافية المتخصصة ومنها هيئة الأعمال الفكرية.